

أموتو طانطان التاريخ

مقدمة

تراث المنطقة

يمتد إقليم طانطان، على مساحة تقدر بـ 17 ألفا و 300 كيلومتر مربع.

ويقع على بعد مسافة 331 كيلومترا جنوب مدينة أكادير.

ويبلغ عدد سكانه 60 ألف نسمة.

منطقة استطاعت بالرغم من عواصف الرمال ومن مناخها القاري، أن تستقطب العديد من أقطاب العلم عبر العهود، شكّلوا بعضا من رموز تاريخها العريق الناطق في كل بقعة من بقاع مدينة طانطان.

العنوان [طانطان التاريخ]

العرض

صوت الرياح

المناخ القاري لمدينة طانطان، جعل المعدل السنوي للتساقطات، لا يتجاوز 82 ملميترا.

وهذا ما استلزم حفر آبار كثيرة على مقربة من المدينة، قصد الاستفادة من الفرشة المائية.

أول بئر تم حفرها، سميت باسم مدينة طانطان ويصل عمقها إلى 35 مترا.

يصل عدد الآبار الموجودة اليوم إلى 24 بئرا، يتراوح عمقها ما بين 10 إلى 47 مترا تقريبا.

ويبلغ معدل صبيبها، 16 مللميترا مكعبا في الثانية الواحدة.

وتشير الروايات المتواترة، إلى أن مصدر اسم طانطان يعود إلى الصدى الذي يحدثه طنين الدلو أثناء إنزاله إلى البئر واحتكاكه بها، أو اصطدامه بالماء الموجود بقاعها.

كان الماء ولا يزال، المتحكّم الأساس في نمط عيش الإنسان، يدفعه انعدامه إلى التنقل، ويُساعده وجوده على الإستقرار وضمّان العيش.

منذ حوالي ألفي سنة وأكثر، استقر الإنسان بهذه المنطقة ممارسا حياته البدائية، المرتكزة أساسا على الصيد.

بمنطقة "المسيّد" تم اكتشاف آثار لحضارة إنسانية عريقة.

ففضل اكتشافه للصبغة بواسطة أكسدة الحديد الأحمر، تمكن الإنسان القديم، من رسم جزء من حياته على الصخور.

فن الصبغة والنقش على الحجارة، ساهم في نفث الغبار على العديد من الحقائق العلمية، حيث لم يكن من السهل معرفة الحيوانات، التي عاشت هنا منذ أمد بعيد لولا النقوش الحجرية، مثل هذه الفيلة المنقوشة منذ عشرات القرون.

بمحاذاة وادي "شبيكة"، الذي يبعد بحوالي 30 كيلومترا عن مدينة طانطان، يقف رمز آخر من رموز الحضارة الإنسانية القديمة، التي لم يسجل تواجده بهذه الكثافة في أي مكان من شمال إفريقيا.

إنه هذا الركام من الحجارة، الذي ينتصب على شكل جُثوة، وهي عبارة عن قبور يعود تاريخها إلى عصر ما قبل الإسلام.

ويعتقد أن طقوس الدفن القديمة، تعتمد على دفن الميت في أماكن مرتفعة مما يقربه أكثر من السماء.

وهذا ما يفسر تواجدها بكثرة فوق التلال، ممتدة على طول 20 كيلومترا.

اتخذت هذه القبور شكلين هندسيين اثنين: الجثوة العادية من جهة وهي مجموعة من الحجارة وضع بعضها فوق بعض.

من جهة ثانية، نجد القبور على شكل هلال، وتتميز بخطين مستقيمين من كلا الجانبين، يصلان في بعض الحالات إلى 250 مترا في الطول و3 أمتار في العرض، كما توضح هذه الصور الملتقطة من الأعلى.

ويستحيل التعرف على هذه القبور أثناء مشاهدتها عن قرب، لذلك ظلت لغزا محيرا وسرا من الأسرار، يستحق أن يضاف إلى آثارات عجائب الدنيا.

تراث المنطقة

كان السكان الأصليون بالمناطق الجنوبية من الصحراء، أمازيغيين من أصول صنهاجة ولمتونة وزناتة.

إلا أنه وفي العقد الأخير من القرن الأول للهجرة، عرفت هذه المناطق توافد العديد من القبائل العربية الإسلامية، التي أثرت بقوة على السكان المحليين، وجعلتهم يفقدون شيئا فشيئا لغتهم الأصلية.

كما هو الشأن بالنسبة لقرية تيلمزون التي تبعد بحوالي 29 كيلومترا عن مدينة طانطان.

تراث المنطقة

عبد الله عبلا
من سكان تلمزون

هذه المنطقة تسمى بتلمزون.

أرض تسكنها قبيلة، يقال لها بگوت.

ما معنى كلمة تلمزون باللغة الأمازيغية؟

إنها تومزين... أي الشعير.

هذه أرض فلاحة، تجري بها مياه عين عظيمة.

كل هذه البقع المحفورة، عبارة عن مخازن أو مطامير.

ولكن الأرض قد انهارت فغطت كل المطامير.

إنها في كل مكان، هنا وهناك.

تراث المنطقة

هذه المخازن الكثيرة، وهذا المسجد الكبير الذي لا يزال صامدا، كلها علامات تنبئ بأن هذه الأرض كانت خصبة، وأن مياهها كانت جارية وأن عددا كبيرا من السكان المزارعين والرحل، قد سكنوا هذه البقاع منذ مئات السنين.

السياحي مولاي الطاهر
رئيس جماعة تلمزون

مسجد تلمزون القديم، الذي يعود إلى حوالي قرن من الزمان.
وهذا المسجد دليل على أنه كان يوجد تجمع سكاني كبير، مما جعل السكان يقومون ببنائه، وهذا دليل أيضا على وجود عين ماء قرب هذا التجمع.

يحكي السكان المحليون، بأن قرية تيلمزون قد أصابها قديما وباء خطير فتك بالعديد من البهائم وأودى بحياة الكثير من القطيع.
وقد اشتكى السكان أمرهم لأبناء سيدي رحال البودالي، الذين خلّصوهم بأعجوبة من هذا المصائب، لهذا السبب أقام السكان هذه الزاوية اعترافا لهؤلاء البوداليين بالجميل وإكراما لمكانتهم.
ومن قرية تيلمزون، عدنا إلى مدينة طانطان، لتتجه نحو وادي شبكية، حيث يوجد مكان خلوة الولي الصالح، الشيخ سيدي أحمد الرّكّبي.

هذه المغارة الخالية، كانت حسب بعض المصادر،
شاهدة على زيارات العديد من المريدين وطلاب العلم،
الذين كانوا يفتنون على هذا الشيخ الجليل.

ولعل هذه الأماكن المحفورة على شكل مقاعد، كانت مكانا لجلوس الطلبة.

وقد صار الشيخ أحمد الرّكّبي على نهج من سبقوه من الأجداد والأولياء الصالحين، وجلهم اعتزلوا الناس وتركوا مفاتن الدنيا ولجأوا إلى أماكن نائية من أجل التعبد والخلوة.

ولد الشيخ أحمد الرّكّبي حوالي سنة 999 هجرية، الموافق لسنة 1590 ميلادية، بمنطقة تعرف بالخرابيع توجد بنواحي وادي درعة.

حفظ القرآن بالروايات السبع المعروفة، وتعلم الفقه والعلوم الدينية، وتشبع بطريقة مولاي عبد السلام بن مشيش كما وضعها أبو الحسن الشاذلي.

وقد قضى الشيخ أحمد الرّكّبي بهذا المكان الخالي عشر سنوات، وعند خروجه منها تقاطرت عليه وفود القبائل الصحراوية وغيرها، قصد زيارته والإنتفاع بدعوته.

محمد الليث
أحد أحفاد الشيخ أحمد الرّكّبي

لماذا الشيخ سيدي أحمد الرّكّبي انتقل من الشبيكة إلى الحبشي؟

يعلم الجميع على أن المناخ الذي كان سائدا في الصحراء، لم يكن مناخا صحراويا جافا كما نعرفه الآن.

الدليل على ذلك أن آبائنا وأجدادنا عاشوا في هذه المنطقة ويعرفونها.

ووادي الحبشي الذي نحن الآن بجواره، والذي يوجد به قبر الشيخ سيدي أحمد الرّكّبي كان واد مُعشوشبا، مملوءا بأشجار الطلح وبالمياه العذبة.

توجد زاوية الولي الصالح الشيخ أحمد الرّكّبي، في وادي الحبشي بالساقية الحمراء، حيث وافته المنية حوالي سنة 1074 هجرية الموافق لسنة 1665 ميلادية.

وقد دفن مع أفراد عائلته في مقبرة صغيرة قرب وادي الحبشي، وقبره لا يزال يستقبل العديد من الزوار رغم بعده وانعدام طريق معبدة تقود إليه.

العناية المستمرة بالمقبرة من طرف أحفاده، جعلتهم يقيمون زاوية شاسعة، جهزوها بالماء والكهرباء ليستقبلوا فيها الزوار القادمين، حتى لا يتعرض إسم هذا القطب للنسيان.

وكما ارتبطت الزوايا بالأولياء، فقد اشتهرت كذلك بالمواسم، التي كانت تلعب أدورا طلائعية، من أجل ربط أوأصر التضامن بين القبائل الصحراوية وإنعاش اقتصادها.

وكان موسم طانطان الشهير، يقام بهذه الأرض على مقربة من هذا الضريح، الذي يوجد به قبر الشيخ محمد الأغصاف، إبن الشيخ ماء العينين.

الشيخ النعمة ماء العينين
أحد أحفاد الشيخ ماء العينين

ازداد الشيخ محمد الأغصاف سنة 1291 هجرية.

ونبع لدى والده الشيخ ماء العينين، وكان مجاهدا كبيرا، ودرس في مدرسة والده، كما الشأن بالنسبة لجميع أبنائه. حيث أنشأ والده المدرسة، استقدم إليها علماء من شمال المغرب، من فاس وعلماء من موريطانيا. وكون المدرسة كانت كبيرة متنقلة، حدث ذلك قبل أن يستقر في السمارة. وكانت مدرسة الشيخ ماء العينين كبيرة، وهي بمثابة مدرسة المنطقة الجنوبية. حيث كان يدرس فيها جميع أبنائه، وكذلك أبناء القبائل التي كانت معه. وحسب بعض المصادر، فإن ما يقدر بعشرة آلاف نسمة كانت مع الشيخ ماء العينين.

تمت إقامة أول موسم للشيخ محمد الأغصاف، المعروف بموسم طانطان منذ أوائل الستينيات، وقد استمر إلى سنة 1974 حيث توقف عن نشاطه، لتعمر الرمال أماكن الخيام، وتتسابق الرياح بعواصفها، مكان إقامة سباق الجمال والخيول والبيع والشراء.

الشيخ النعمة ماء العينين
أحد أحفاد الشيخ ماء العينين

كانت للموسم فائدة كبيرة على المنطقة الجنوبية، وكذلك داخل المغرب. كان الناس يقبلون من المناطق، التي كانت تتحكم فيها إسبانيا آنذاك. كانوا يأتون بسلعهم الكثيرة، وكانت السلطات المغربية تساعدهم بفتح الطرق أمامهم، من أجل الدخول والخروج. كما كانت تعفيهم من جميع الرسوم ومن جميع الضرائب. وكانوا يأتون إلى طانطان ويبيعون سلعهم بجانب هذا الضريح. وكان التجار المغاربة يأتون من المدن الداخلية. وكان هذا الموسم ينعش طانطان، كما كان له رواج كبير جدا.

كان موسم طانطان، يعرف مشاركة العديد من التجار والحرفيين، الذين كانوا يأتون من البلدان المغاربية المجاورة، كالجزائر وموريطانيا، إضافة إلى إقامة سباق الإبل والخيول بمشارف الخيام الممتدة على طول حوالي أربع كيلومترات مربعة.

حيدة محمد عبد الرحمن
صانع تقليدي

منذ إقامة الموسم الأول لطانطان وأنا أشارك فيه. الموسم الأول كان معي أربعون مساعدا، عشرون منهم كانوا معي في الخيمة، والآخرين في خيام الصناع المجاورين. وكان كذلك صناع آخرون قد قدموا من كلميم. مواسم طانطان التي أقيمت، كانت كلها مصدر عيش للعديد من الناس، أتوا من الجزائر ومن موريطانيا.

كان أصحاب الإبل مصطفين يقيمون السباق، وتخصص جوائز للفائزين الثلاثة.
نفس الشيء بالنسبة لأصحاب الخيول، وكانت تقام جوائز لأحسن لباس، حتى ولم يكن ماهرا في السباق.

إذا كان الوازع الديني، هو الأصل في إقامة المواسم فإن ذلك لم يمنع من انتعاش مرافق أخرى من حياة القبائل.

كالتبادل التجاري واحتكاك الحرفيين والصناع، واستفادة بعضهم من البعض الآخر وإغناء الثقافات وربط علاقات من التعاون والتآزر بين المناطق الجنوبية وباقي المدن، كفاس ومراكش والدار البيضاء وطنجة وغيرها.

الشيخ النعمة ماء العينين
أحد أحفاد الشيخ ماء العينين

هذا الموسم استفادت منه المنطقة الجنوبية، واستفادت منه المنطقة الشمالية، واستفاد منه المغرب بأكمله.
أثناء الموسم كنت ترى مئات من الخيام ومئات من الجمال.
وكانت تستفيد منه المنطقة.

حيدة محمد عبد الرحمن
صانع تقليدي

الخيام؟

كانت تنصب ثلاثة آلاف خيمة تقريبا.
لا أستطيع أن أعدها لكثرتها، كانت تملأ الأراضي إلى أبعد خلاء.
وكل قبيلة لها خيامها، هذه خيام الشيخ ماء العينين، خيام الركييات، خيام الزرغيين، خيام بكوت، خيام آيت لحسن، خيام آيت أوسا،
خيام آيت ياسين.
وما من قبيلة إلا وخيامها موجودة.

هذا الموسم، كان لوحده كافيا لجمع ملتقى قبائلي ضخم.

الرغبة الجامحة التي تسكن أهل الصحراء، وإيمانهم القوي بالتعاون والتلاحم من أجل مقاومة الطبيعة القاسية، جعلتهم يقطعون الفيافي حاملين بالبضائع المتنوعة.

حيدة محمد عبد الرحمن
صانع تقليدي

هذا الموسم كان رائعا.
نرغب كثيرا أن نعيد إقامته.
وكل من ساهم في إعادته، أو كان سببا في ارجاع إحيائه نطلب من الله أن يجازيه الخير الكثير.

خاتمة

إذا كانت مدينة طانطان، تحفل بالعديد من الملاحم البطولية نقشت في سجل التاريخ منذ عدة قرون.

فإنها لا تزال وفية العهد للسير قدما نحو تحقيق المعجزات ورفع التحدي، بفضل عزيمة الرجال وإرادة النساء، للإنفلات من قبضة الرمال ومعانقة الركب.

كتابة
حسن العماري
2003